الجزءان الثاني والثالث
المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

رجب ١٤٠٢ هـ
نيسان ١٩٨٢ م

ابن أرفع رأس

شاعر الحكماء وحكيم الشعراء

وديوانه الشعري في الصنعة

الدكتور رزوق فرج رزوق

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

عني الاندلسيون بمثل ما عني به المشارقة من ضروب العلوم والآداب والفنون ، واتسمت الحياة الثقافية والحركة العلمية في كل من الاندلس وبلاد المشرق بسمات من التماثل والتقارب ، بفضل ما حظي به المشرق من مكانة سامية واحترام جم عند اهل العلم وطلبته من الاندلسيين ، ولما كان بينهم وبين المشارقة من صلات التبادل الثقافي ووشائج العلم الوثيقة . وتحفل كتب التراجم والتواريخ الاندلسية بذكر ما كان للاندلسيين من رحلات الى بلدان المشرق ، ولا سيما مصر والشام والعراق ومكة ، ومن لقوه فيها من الفقهاء والعلماء والادباء ، وما طلبوه من العلوم وقبسوه من الآداب ، وما حملوه الى بلادهم من نفائس الكتب والاسفار . وتذكر كتب التراجم والتواريخ ايضاً العلماء والادباء المشارقة الذين قدموا الاندلس ، فسمع الناس منهم ، وكتبوا عنهم ، وقرأوا عليهم أمهات الكتب .

كان اول وأهم ما عني به الاندلسيون من العلوم علوم الدين واللغة العربية . الا ان طائفة من علمائهم اهتمت بدراسة علوم الاوائل وتأليف الكتب والرسائل في موضوعاتها . ومن هذه العلوم الصنعة أو علم الكيمياء القديم . وقد برز من اهل هذا العلم عندهم ثلاثة هم مسلمة بن احمد المجريطي ، وتلميذه ابو بكر بن بشرون ، وابن أرفع رأس ؛

ووصل الينا من مؤلفاتهم في الصنعة كتاب للمجريطي ورسالة لابن بشرون وديوان شعر لابن أرفع رأس . وهو الديوان الذي سيدور حوله وحول ناظمه هذا البحث .

تعريف بابن أرفع رأس:

هو ابو الحسن علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف — ويقال علي بن موسى بن أبي القاسم بن علي — الانصاري ، السالمي ، الاندلسي ، الجيّاني ولد بمدينة جيان بالاندلس في رمضان سنة خمس عشرة وخمس مئة .

ونزل مدينة فاس ، وتصدر للاقراء فيها ، وولي خطابتها بجامع القرويين [1] .

عُرِفَ بابن أرفع رأس [2].

وبابن النقرات [3] .

ولُقّبَ ببرهان الدين [4] .

ذكر ابن عبدالملك طائفة من اهل عصره ممن تلقى عنهم علوم الدين ولا سيما الحديث والقراءات ، وممن روى عنه ، فقال : « تلا بالسبع على أبي عبدالله بن حطيئة وابوي محمد : ابن علي الشنتريني وأبي محمد الفهري ، وتلا أيضاً على أبي علي حسين بن عريب . وروى عن ابوي اسحاق : ابن ابراهيم بن خلف المخزومي وابن قرقول وأبي الحجاج بن فتوح العشاب وابي الحسن بن الحسن اللواتي ، وآباء عبدالله : ابن خلف بن الشبوقي وابي علي بن الرمامة وابن عيسى ، وابي العباس ابن عبدالعزيز ابن أبي طورقيه . وروى عنه ابو الحجاج بن محمد الاندي وابو الحسن بن القطان وابو عبدالله النجيبي وابو العباس : ابن طاهر بن خلف وابن عبدالله السكوتي ، وابو علي حسن بن عبدالرحمن البلنسي » [5] .

وقال شمس الدين الجزري انه « اخذ القراءات عن أبي العباس احمد بن الحطية بمصر وعبدالله بن محمد بن غريب ، وقرأ عليه ابو عبدالله القرطبي »[6] .

وتوفي — كما ذكر ابن الأبار وابن الجزري وابن شاكر الكتبي والمقّري — سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة [7] .

وقال ابن العماد الحنبلي انه توفي سنة اربع وتسعين وخمس مئة [8] .

اما ابن عبدالملك فقال انه كان حيّاً سنة خمس وتسعين وخمس مئة [٩] .

والسنة الاولى (ثلاث وتسعون وخمس مئة) هي الراجحة ، فقد ذكرها أربعة من أعلام المؤلفين والمؤرخين ، ورجّحها من المحدثين كارل بروكلمان [١٠] وخير الدين الزركلي [١١] وعمر رضا كحالة [١٢] .

أما ما ذكره حاجي خليفة [١٣] ثم اسماعيل باشا البغدادي [١٤] من انه توفي سنة خمس مئة فغير صحيح .

منزلته العلمية :

في كتب التراجم والفهارس وفي مقدمات مخطوطات ديوانه « شذور الذهب » اشادة بمنزلته العلمية وفضله وصلاحه ، وثناء كثير عليه .

قال ابن عبدالملك انه « كان مقرئاً مجودا محدثا راوية ، حافظاً للآداب ، عارفاً بالانساب ، صالحاً ورعا زاهدا ، ذا حظ في قرض الشعر » [١٥] . وقال ابن الجزري انه « امام كبير وأديب بليغ » [١٦] ، وقال ابن شاكر الكتبي بعد أن نوه بديوانه « شذور الذهب » : « لم ينظم احد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة الفاظ وعذوبة تراكيب ، حتى قيل فيه: انه إن لم يعلمك صنعة الذهب علمك صنعة الادب . وقيل : هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء [١٧] . « ونقل ابن العماد الحنبلي قول ابن شاكر [١٨] . واثنى المقري على بلاغته ، فقال : «ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب (شذور الذهب) لكفاهم دليلاً على البلاغة » ونقل ايضاً قول ابن شاكر .[١٩]

ووصفته مقدمة « ديوان الشذور » (مخطوطة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب في جامعة بغداد) بالشيخ الامام العالم الفاضل الفيلسوف ، ونعتته مقدمة « شذور الذهب » (مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني) بالشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين سراج الاسلام حجة الشريعة زين الامة شرف الفقهاء .

ووصفه المحدثون بمثل ما وصفه به الاقدمون من الحكمة ، والعلم بالكيمياء ، والأدب ، والشعر [٢٠] .

آثاره :

أهم آثاره وأشهرها ديوانه الشعري الكيمياوي : شذور الذهب .

عرّف به وبشروحه حاجي خليفة فقال : « شذور الذهب – في الاكسير . . . وهو ديوان مرتب على الحروف ، خمّسه شرف الدين محمد بن موسى القدسي الكاتب تخميساً حسناً . وشرحه أيد مر بن علي الجلدكي وسماه (غاية السرور) . قال : قد استوعب فيه جميع الحكمة المطلوبة والنعمة المرغوبة . قال الشيخ علي بن سعيد الانصاري في (شفاء الالم) : وقد شرح بعضهم الشذور على زعمه ، كعلاء الدين القصصي وابن الجزري وغياث الدين بن الملوك وابن عبدالسلام الدمشقي ، فأما القصصي فكان هائماً في الشعر ، وأما ابن عبدالسلام فكان تائهاً في قوالح القصب ، وأما غياث الدين وابن الجزري فأعجب من الاولين . و (طوالع البدور في شرح الشذور) لصاحب (كشف الاسرار وهتك الاستار) أوله : الحمد لله الذي زيّن السموات بأنوار الطلائع . الخ ذكر فيه البيت الاول وشرحه على قواعد علم الحروف والنجوم . وللشيخ أيد مر بن علي الجلدكي شرحُ صدرِه . سمّاه (الدر المنثور) . صنفه بمدينة القاهرة سنة ٧٤٢ هـ ثم شرح هذا الشرح وسمّاه (كشف الستور) .[٢١]

أما مؤلف « طوالع البدور » و « كشف الاسرار » اللذين ذكرهما حاجي خليفة فهو علي بك بن خسرو الازنيقي المتوفى سنة ١٠١٩ هـ ، والمعروف بالمؤلف الرومي الجديد[٢٢] . وله كتابان آخران في الصنعة هما « جواهر الاسرار في معارف الاحجار » و « السر الرباني – في علم الميزان » [٢٣] .

ولابن أرفع رأس آثار أخرى ، ذكرها اسماعيل باشا البغدادي . قال : « من

تصانيفه : الجهات في علم التوجهات . في شرح قصيدة ثابت قصيدته الطائية . الوسم الوسيم عن الحجر الكريم » [٢٤] .

وعرّف في كتابه الآخر « ايضاح المكنون » « باثنين من هذه الآثار ، هما : « الجهات في علم التوجهات » و « الوسم الوسيم عن الحجر الكريم » تعريفاً موجزاً ، لم يزد فيه على ذكر أول كل كتاب [٢٥] .

ولم يذكر شيئاً عن « في شرح قصيدة ثابت » . وقد يكون هذا العنوان تتمة لعنوان المصنّف السابق » الجهات في علم التوجهات » وليس عنوان مصنَّف مستقل.

اما القصيدة الطائية فهي واحدة من قصائد ديوان « شذور الذهب » وليست مصنّفاً مستقلاً . وقد خصها بالذكر — كما يبدو — لما تميزت به من براعة في الجمع بين الكيمياء والغزل والقصة الدينية فضلاً عن متانة نسجها ونصوع ديباجتها [٢٦] . وسيرد ذكر هذه القصيدة في تعريفنا بديوان « شذورالذهب » ودراستنا له .

ديوانه الشعري في الصنعة :

عرف العرب الشعر التعليمي منذ العصر الاموي ، فنظموا القصائد والمقاطيع والاراجيز في طائفة كبيرة من علوم الدين واللغة والعلوم الانسانية ، ومن العلوم البحتة ومنها الصنعة ، او الكيمياء ، متوخين من منظوماتهم تلخيص هذه العلوم وتيسير تعليمها وتسهيل حفظها .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية (— ٩٠ هـ) أول من نظم الشعر في صنعة الكيمياء ، وله فيها ديوان شعر تحتفظ مكتبة المتحف العراقي ببغداد بنسخة خطية منه [٢٧] .

وأعقبه جابر بن حيّان (— ٢٠٠ هـ) ، وله في الكيمياء شعر متفرق في بعض

كتبه الكثيرة [٢٨] ، وذو النون المصري (— ٢٤٥ هـ) ، ومن شعره الكيمياوي أرجوزة طويلة تنيف على مئة بيت ، أولها :

الحمد لله الجميـــل فعلُهُ قد شمل الخلقَ جميعاً فضلُهُ [٢٩]

وابن أُميَّل (نبغ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، وله قصيـــدة مخمّسة في الكيمياء عنوانها « الماء الورقي والارض النجمية » وتسمى أيضاً « رسالة الشمس الى الهلال » [٣٠] .

وجاء بعدهم مؤيد الدين الطغرائي (— ٥١٥ هـ) فنظم « المقاطيع في الصنعة التي نيّف عدد أبياتها على ألف بيت ، وقال في مقدمتها : « وانما دعاه الى نظمها ما رآه من اختلال كل نظم يروى فيها عن خالد بن يزيد وجابر بن حيان وغيرهما وعدولهم عن تفصيح الالفاظ واستيفاء المعاني ومطابقة بعضها بعضاً ، إمّا ضناً بالعلم أو استهانة بالنظم » [٣١] .

وأعقب ابن أرفع رأس (— ٥٩٣ هـ) هؤلاء ، فكان المجلّي في ميدان الشعر التعليمي الكيمياوي . وقد بزّ بشعر ديوانه « شذور الذهب » أشعار من سبقوه ، ثم من لحقوه في هذا المجال .

وقد مدحه أيد مر بن علي بن أيدمر الجلدكي (— ٧٤٣ هـ) هابرز كيمياويي زمانه في كتابه « قلائد النحور في شرح صدر أبيات الشذور » وقرظ ديوانه قائلاً : « لما منّ الله تعالى عليّ وجعلني ممن يحب الحكمة وأهلها ونظرت في كتب الحكماء المتقدمين والمتأخرين فما وجدت أفصح ولا أبلغ ولا أغوص في العلوم من الشيخ الذي غاص في العلوم واستخرج الدر من التخوم . . . الامام أبي الحسن علي بن موسى ابن القاسم بن علي الانصاري الاندلسي المجريطي رحمه الله تعالى . . . ونظرت في كتابه الموسوم بشذور الذهب فوجدته قد استوعب فيه جميع الحكمة المطلوبة والنعمة المرغوبة وجمع جميع ما فيه في الابيات التي صدره بها في حرف الالف أردت أن اشرحها شرحاً وجيزاً . . . » [٣٢] .

وتحدث علي بك بن خسرو الازنيقي (— ١٠١٩ هـ) المعروف بالمصنف الجديد الرومي ، وهو صاحب عدة مؤلفات في الصنعة ، في رسالة له شرح بها بعضا من « شذور الذهب » ، عن ابن أرفع رأس فأثنى عليه ثناء عاطراً ، وقرظ ديوانه فقال : « . . . فكان أول من صنّف فيها [اي الصنعة] نظماً خالد بن يزيد بن معاوية وبعده جماعة من المصنفين الى أن ظهر ديوان شذور الذهب ، فلم يوجد فيما صنف في علم الصنعة نظم اشرف منه ديواناً ، اذ كان صاحبه ارتاض في الادبيات والعلوم الرياضيات والبرهانيات ، وبلغ أقاصيهما ، وتبعه في ذلك جابر بن حيان .

واعلم ان الفاضل المذكور كان في غاية المعرفة التامة في العربية وصناعة الشعر ، فكان ديوانه زبدة ما صنّف نظماً في علم الصنعة ، لانه استوعب في كل لفظة من ألفاظه شريف المعاني ما يحتمل شروحاً متسعة ومعاني مختلفة ، مثل علم النجوم والهندسة والطب والشرع واللغة العربية ، والبحث في سائر العلوم . والرجل لا يباهي في صناعة الشعر والادب والفلسفة ، ولقد فاق من تقدمه ممن نظر في الصناعة نثراً وسطر فيها نظماً ، وافترد بديوان فيه معانٍ لو كتبت بدم حبات القلوب على صحاف العيون لكان حقه مبخوساً ومصنفه مغبوناً ، فتأولـــه الناس على اختلاف طبقاتهم ، فمنهم من يتبع ظواهر الفاظه وخفي عنه ما دفن في بواطنها ، فكان كخابط في عشواء . ومنهم من ادعى ادراك معانيه وهو مضناه

ولما كان مصنف هذا الديوان منفرداً في صناعة الشعر والحكمة ، وبخاصة هذه الصناعة كان ديوانه أجلّ شيٍ صنف نظماً في الصناعة وعلم الكيمياء ، لانه جعل كل بيت منه بمقام مجلد من تصانيف غيره . وهذه بلاغة لم يعاند فيها بطمع ، ولم يطمع في بلوغ مثلها ، اذ كان الناظمون في هذه الصناعة كثيري العدد ، والابيات التي صنعوها غير محصورة ، فكلها بالاضافة الى هذا الديوان كالطلح عند التمر ، والزَّرَجُون [٣٣] عند العنب ، فلو رام أحد به من الناس بعد الوصول اقتفاء

اثره لم يصنّف وإن اجتهد الاّ دونه ، فهو زبدة ما صنّف نظماً في صناعة الكيمياء ، ولذلك صارت الابيات التي نظمت بعد سماع هذا النظم هزءا »[٣٤]

مخطوطات شذور الذهب :

وصلت إلينا نسخ خطية كثيرة من « شذور الذهب » ، ذكر بروكلمان منها ما يأتي :

مكة ٢ ، ٤١٠

لا ندبرج – بريل ٤٨٠

باريس ٢٦٢٢ ، ٢٦٢٣

مانشستر ٣٣٨

اسكوريال – الفهرست الثاني ٥٣٠ / ٥

بريل – هوتسما – الفهرست الثاني ٥٣٩

لا له لي ١٧٢٧

الموصل ١٥٧ / ١١٠ [٣٥] .

طهران – الفهرست الثاني ٧٢٣

الرباط ٤٧٧ [٣٦] .

وورد ذكر نسخ اخرى في فهارس ست من المكتبات ، هي نسخ مكتبات :

جامعة برنستن بالولايات المتحدة – مجموعة كاريت . رقمها ٩٣١ .

بلدية الاسكندرية بمصر . رقمها ٣٠٦٩ .

دار الكتب المصرية . رقمها ١٧ طبيعيات .

طوب قابي سراي باستانبول رقمها ٨٤٨٧ أ / ٢٥٧٢

الخزانة العامة برباط الفتح . نسختان . رقماهما ٢٤٦٨ ، ٢٤٦٩

الشيخ محمد السماوي بالنجف . رقمها ٣١١

المتحف البريطاني بلندن . رقمها ٧٥٩٠

الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد . رقمها ٥٥

وسأعمد الى عرض الديوان ودراسته معتمداً على مخطوطة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ، ثم على مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني لغرض مقارنة ما سأقتبسه من شعر الديوان وتصويبه .

مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد :

رقمها ٥٥

عدد اوراقها ٤١

عدد السطور في الصفحة ١٩

عدد القصائد والمقاطيع ٤٢

عدد أبيات الديوان ١٤٣١

الديوان مرتب وفقاً للتسلسل الالفبائي لقوافي الاشعار .

اوله : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله . قال الشيخ الامام العالم الفاضل الفيلسوف برهان الدين علي بن موسى بن أرفع رأس رحمه الله تعالى . . .

آخره :

فإنْ كنتَ في حل الرموز مدانيا ... اخانا فقد نلتَ الذي كنت راجيا

والاّ فلا ترتعْ بها فهي روضة ... قد امتلأت للوارديـــن افاعيـــا

تمّ الديوان بحمد الله وحسن توفيقه .

يبدأ شعر الديوان في قافية الالف بمقطوعة أولها :

اذا ثَلّثَ المريخَ بالزهرة امرؤٌ ... وقـــارن بالبدر المنيـــر ذكاء

واجمدَ أدهاناً وحلّ بحكمـــة ... صخوراً أصارتهـــا المياهُ هبـــاء

فذاك الذي إن يُضْحِ أفقرَ مَغتدٍ ... يَرُحْ وهو أغنى العالمين مســـاء

وتتوالى القصائد والمقاطيع في هذا الديوان في الموضوعات المألوفة في امثاله من الدواوين أو الكتب والرسائل الكيمياوية القديمة ، كالتدبير والتصعيد والتكليس والتشميع والحلّ والعقد والغسل والاكسير والمعدنيات والزئبق والكبريت والحجر والبيض والدهن والصبغ والماء والنار .

ويشير في احدى القصائد الى أن الاختصار هو الذي دعاه الى نظم موضوعات الديوان بدلاً من نثرها ، فيقول :

وقد مال بي عن نثر لؤلؤ سلكه ... الى نظمه اني ارى النظم اخصرا
فدونكموها مجملاً في قصيدة ... قصدت بها تعريف ما كان منكرا
تبوح بعلم الكيمياء لمن غدا ... مكبّاً عليها ظهره وتفكـــرا

ق ١٣ب

ويدافع عن صنعة الكيمياء ، ويردُّ على من يعاديها ويعنّف طالبيها، فيقول :

لنفسك فانظر أيهـــذا المفنـــدي ... فلست وان حاولت نصحاً بمرشدِ
فما خير انسان يروح معنّفاً ... لطالب علم الكيمياء ويغـــتدي
وفي كل شيٍّ للصناعة آيـــة ... متى استشهدتْها فكرة المرء تشهدِ
ولكنه يخفى على الغرّ سرُّها ... ويبدو لذي الرأي المصيب المسدّدِ
واني وان خالفت صحبي لضاربٌ ... لها مثلاً يُهدى به كل مهتـــدِ

ق ١٠ ب

ويعود الى الدفاع عنها في قصيدة ثانية ، ضد من ينكر امكانها ويبطل ما قد تحقق منها ، فيقول :

قـــبّحَ اللهُ جاهـــلاً ... جـــامد الطـــبع أحمـــقا
ينكـــر الصنعـــة التـــي ... برقُهـــا قـــد تألقـــا

واذا بُرْهِنَتْ لـــه نكّس الرأس مطـــرقـا
مبطـلا من صنـــاعة الـ قـــوم ما قـــد تحقـقـــا
ق ٢٨ ب

ويشير الى ما تخلل شعر الديوان من رموز كيمياوية ، مما هو شائع في المؤلفات الكيمياوية القديمة ، فيقول :

ولكنني لم أظهر الوزن انمـــا أشرت اليه في خفيّ معـــانِ
فإن شئتَ حلّ الرمز فيه فقدّمَنْ وأخّرْ وباعدْ ما شرحتُ ودانِ
ق ٣٤

ويقول ايضا :

هي الصنعة المضروب من دون نيلها من الرمز أستارٌ تشيب النواصيـــا
ولكنها أدنى – اذا كان عالماً – الى المرء من حبل الوريد تدانيا
واني لأستحيي من المرء يرتمي به الظن في فكّ الرموز المراميـــا
ولم يجعل العلم الرياضي روضه وكان عن العلم الالهي لا هيا (٣٧)
ق ٤٠ أ

ويرى ، مثل غيره من الكيمياويين القدماء ، أنه قد نشر علمه ولم يكتمه ، مريداً بنشره وجه الله ، فيقول مخاطباً طالب العلم :

لعمري لقد ألقمتكَ العلم لم أردْ به غيرَ وجه الله إن كنت ماضغا
فان انت ياهذا بفهم أعنتني تسربلت أثواب الكمال السوابغا
فهذا هو التدبير والحجر الـــذي ورثناه إدريساً ونوحاً وفالغـــا
فلا تصبحنْ إلاّ بـــه متشاغلاً ولا تمسينْ إلاّ له متفـــارغـــا
ولا تطمع الشيطان في هتك ستره فما زال بين الناس بالبغي نازغا
ق ٢٤ ب

ويقول ايضاً :

ارى البذل في احياء نفس بحكمة فلا اتوقاها عن البذل بالمطـــلِ

ولا اكتم العلم الذي شحَّ أهله عليه فكتمان العلوم من البخلِ
فلا فضل في أن يصبح المرء عالماً اذا كان يأبى أن يشارك في الفضلِ
ق ٣١ أ

ونجد في القصيدة النونية الآتية من شعر الديوان تعليمات تتعلق بواحد من تدابير الصنعة المهمة ، هو تركيب الزئبق بالدهن :

ان كنت تبغي بالأمنِ الفوز فركّب الزئبق بالدهن
وَلْيَكُ دهناً طاهراً خالصاً من شائب الكدرة والافنِ (٣٨)
وليكن الزئبق في لونه كالماء ينهلُّ من المزنِ (٣٩)
حتى اذا ما قام وزناهما وامتزجا بالحل في الدفنِ
صار لنا جوهرة كالمها جامدة في غاية الحسنِ
فهي لنا عون على سبك ما صار من الاحجار كالعِهْنِ (٤٠)
وذلك المسبوك أرض لنا نؤثر سكناها على عدنِ
يا لك من طائرة مالها غير رماد الريش من وكنِ
كانت لنا بيضاً فصارت فتىً يزيد في الجود على معنِ (٤١)
ق ٣٣أ ـ ٣٣ب

ويذكر هرمس في ثلاث من قصائد الديوان ، فيقول في أولاها :

وان رمتَ أن تحظى بحكمة هرمس ومن بعده من أوحد بعد أوحدِ
فدونك هذا القاسي الخالد الذي يُدَبَّرُ بالدهن اللطيف المقيّدِ
هو العلم المعلوم في كل بلدة هوالزئبق المشهورفي كل مشهدِ (٤٢)

ويقول في الثانية :

وقال ابونا هرمس إنَّ ما علا فمن صفوها في ثفلها المتمايزِ (٤٣)

ويقول في الثالثة :

لهرمس أرض تنبت العز والغنى اذا ما انتفى منها غريب الحشائشِ (٤٤)

وهرمس المذكور في هذه الابيات حكيم مصري قديم عرّفت به مصادر عربية قديمة منها طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل . وقال جون ريد في كتابه «مقدمة للكيمياء » (باللغة الانكليزية) : « إنّ الرأي القائل بان أصل الكيمياء مصري قد قَوَّتْهُ كثرةُ ورودِ اسم هرمس المثلث العظمة في الكتابات الكيمياوية بوصفه أبا الصنعة الهرمسية وراعي اهلها الذين يسمّون أنفسهم ابناء هرمس . . . » وقد نسب الى هرمس عدد كبير من المؤلفات في الفلك والسحر والكيمياء ، ذكر ابن النديم منها ثلاثة عشر مؤلّفاً في الكيمياء ، وذكر حاجي خليفة ستة مؤلفات أخرى . ويستعمل الاسم هرمس رمزاً للزئبق ، في مؤلفات الكيمياويين القدماء ، الى جانب رموز أخرى[٤٥] .

ونجد في الديوان القصيدة الطائية [٤٦] التي أوردها ابن شاكر الكتبي كاملة في تسعة وثلاثين بيتاً ، في ترجمة لابن أرفع رأس ، وقال إن صاحبها « أبرزها في ثلاثة مظاهر : مظهر غزل ، ومظهر قصة موسى ، والمظهر الذي هو الاصل في صناعة الكيمياء ، وهذا دليل القدرة والتمكن ، رحمه الله تعالى » [٤٧] .

استهلها بقوله :

بزيتونة الدهن المباركة الوسطى ... غنينا فلم نبدلْ بها الأثْل والخَمْطا
صفونا فآنسنا من الطور نارها ... تشبُّ لنا وهناً ونحن بذي الأرطى
فلما أتيناها وقرّب صبـــرنا ... على السير من بعد المسافة ما اشتطا
نحـــاول منها جـــذوة ما ينالها ... من الناس من لا يعرف القبض والبسطا
هبطنا من الوادي المقدس شاطئاً ... الى الجانب الغربي نمتثل الشرطا
وقد أَرَّجَ الارجاء منها كأنهـــا ... لطيب شذاها تحرق العود والقسطا [٤٨]

وختمها بقوله :

فهذا الذي أعيا الانام فأضمروا ... لمن وضع الارماز في علمـــه سخطا
وهذا هو الكنز الذي وضعوا له ... برابيّ إخْميم وخَصُّوا بها قفطا

وتخليصه سهل بغير مشقة لمن عرف التطهير والعقد والخلطا
أبا جعفر خذها اليك يتيمة تورَّعَ لوقا أنْ يورّثَها قسطا
ولكنني لما رأيتك أهلها سمحتُ بها لفظاً وأثبتُّها خطا[٤٩]

وبعد فقد كان هذا الديوان الكيمياوي القيّم من كتب الصنعة التي ذكرها يوليوس روسكا – وهو احد العلماء الاوربيين البارزين الذين عنوا بدراسة الكيمياء عند العرب – في قائمة الكتب « الجديرة بالتقديم في النشر » [٥٠] ، قائلاً ان هذه الكتب ، وان غلب عليها الانتحال ، كان لها نفسها « اعظم التأثير طيلة قرون عديدة ، ولذلك فان كل كشف وكل نشر للمخطوطات التي تقرب الينا هذه النصوص سيكون من الاهمية بمكان . » [٥١] .

والمأمول أن ينهض بعبْ تحقيق هذا الديوان محقق يجمع بين قدر كافٍ من البصر بقديم علم الكيمياء وحديثه ، ومن الالمام بقواعد تحقيق المخطوطات ، ثم بما تدعو إليه الحاجة من المعرفة اللغوية والعروضية ، مع ما لابد منه من الجلد والصبر ، لتعم بتحقيق الديوان وطبعه فائدته ويبرز فضله ، وليضاف بجدارة واستحقاق الى تراثنا العلمي وشعرنا التعليمي .

* * *

حواشي البحث

(١) ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الاوسي ؛ الذيل والتكملة ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٥ ، السفر الخامس ص ٤١٣ ؛ محمد بن عبدالله بن الأبار ؛ تكملة الصلة ، نشر كوديرا ، مجريط ، ١٨٨٧ ، ٢ ؛ ٦٧٤ ؛ محمد ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٤ ، المجلد ٣ص ١٠٦ .

(٢) عبدالحي بن العماد الحنبلي ؛ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، سلسلة ذخائر التراث العربي ، بيروت ، د . ت ، ٤ ؛ ٣١٧ ؛ اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، استانبول ، ١٩٥١ ، ١ ؛ ٦٩٤ ؛ ديوان الشذور ، (أو شذور الذهب) مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد ، رقمها ٥٥ ، ق ١ أ .

(٣) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص ٤١٣ ؛ تكملة الصلة ٢ : ٦٧٤ ؛ شمس الدين محمد ابن محمد الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق ج . برجستراسر ، القاهرة ، ١٩٣٢ ، ١ : ٥٨١ .

(٤) ديوان الشذور ق (أ ، شذور الذهب ، مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني بلندن ، رقمها ٧٥٩٠ ، ق ١ ب ، كارل بروكلمان ؛ تاريخ الادب العربي(بالالمانية) ، الذيل الاول ص ٩٠٨ .

(٥) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص ٤١٢ – ٤١٣ . –

(٦) غاية النهاية ١ ؛ ٥٨١ – ٥٨٢ .

(٧) تكملة الصلة ٢ ؛ ٦٧٤ ، غاية النهاية ١ ؛ ٥٨٢ ؛ فوات الوفيات ٣ : ١٠٦ ؛ أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ٣ ؛ ٦٠٦ .

(٨) شذرات الذهب ٤ ؛ ٣١٧ .

(٩) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص ٤١٣ .

(١٠) تاريخ الأدب العربي (بالالمانية) ، الذيل الاول ص ٩٠٨ .

(١١) الأعلام – قاموس تراجم ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ٥ ؛ ١٧٨ .

(١٢) معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية ، دمشق ، ١٩٥٧ ، ٧ ؛ ٢٤٩ .

(١٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ، ١٩٤١ – ١٩٤٣ ، ص ١٠٢٩ .

(١٤) هدية العارفين ١ ؛ ٦٩٤ ؛ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استانبول ، ١٩٥١– ١٩٥١ – ١٩٥٥ ، ١ ؛ ٣٨٧ .

(١٥) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص ٤١٣ .

(١٦) غاية النهاية ٥ : ٥٨٢ .

(١٧) فوات الوفيات ٣ ؛ ١٠٦ .

(١٨) شذرات الذهب ٤ ؛ ٣١٧ .

(١٩) نفح الطيب ٣ ؛ ٦٠٥ .

(٢٠) انظر الاعلام ٥ ؛ ١٧٨ ؛ معجم المؤلفين ٧ : ٢٥٠
(٢١) كشف الظنون ص ١٠٢٩ .
(٢٢) المصدر نفسه ص ١٤٨٧ .
(٢٣) المصدر نفسه ص ٦١٢ ، ٩٨٧ .
(٢٤) هدية العارفين ١ ؛ ٦٩٤ .
(٢٥) ايضاح المكنون ١ ؛ ٣٨٧ ؛ ٢ : ٧٠٥ .
(٢٦) انظر ديوان الشذور ؛ مخطوطة مكتبة الدراسات العليا ق ٢٠أ – ٢١ أ ؛ فوات الوفيات ص ١٠٧ – ١٠٨ .
(٢٧) رقمه ٢١٢٣ وعدد أوراقه ١١٣ ورقة (عدد السطور في كل صفحة ١٣ سطراً) .
(٢٨) من هذا الشعر « قصيدة دالية في وصف الحكمة » . انظر فؤاد سيد ؛ فهرس المخطوطات المصورة – معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج٣ ق٤ ص ٨٦ – ٨٧ .
(٢٩) مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني ، المرقمة ١٥٩٠ إضافية ، الاوراق ٨٥ أ – ٨٩أ . لدي نسخة مصورة عنها، بعنوان «ديوان في الكيمياء» وبرقم ٤٢ . وقد زودني بها معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية . انظر فهرس المخطوطات المصورة ج٣ ق٤ ص ٤٥ – ٤٦ .
(٣٠) كشف الظنون ص ١٥٧٦ .
(٣١) مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني بلندن ، ٨٠٤٧ شرقيات ، ق١ ؛ مخطوطة مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، ٢١٢٣ ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .
(٣٢) قلائد النحور في شرح صدر أبيات الشذور ، احد أقسام مجموع خطي بمكتبة المتحف البريطاني بلندن ، ٣٧٥١ شرقيات . لدي نسخة مصورة عنه .
(٣٣) الطلح : شجر عظام . الزرجون : قضبان الكرم .
(٣٤) المصنف الرومي الجديد (علي بك بن خسرو الازنيقي) ؛ رسالة مخطوطة في الكيمياء ؛ بلا عنوان . أولها ؛ « نحمدك اللهم حمد العارفين بوحدانيتك المتصرفين بحكمتك . . . » ، في مكتبة المتحف البريطاني بلندن . لدي نسخة مصورة عنها .
(٣٥) يعني مخطوطة مكتبة مدرسة عبدالرحمن جلبي الصائغ . وقد ذكرها د . داود الجلبي في « كتاب مخطوطات الموصل » برقم ١١٠ وفي ص ١٥٧ من الكتاب .
(٣٦) تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) ، الذيل الأول ص ٩٠٨ .
(٣٧) في المخطوطة ؛ روضة . والتصويب من مخطوطة المتحف البريطاني ق ٥٠ أ .
(٣٨) في المخطوطة ؛ واليك . والتصويب من مخطوطة المتحف البريطاني ق ٤٣ أ .
(٤٠) في المخطوطة ؛ على سبل . والتصويب من مخطوطة المتحف البريطاني ق ٤٣ أ .
(٤١) في المخطوطة ؛ فصارت فتاً . والتصويب من مخطوطة المتحف البريطاني ق ٤٣ ب .
(٤٢) المخطوطة ق ١٠ ب – ١١ أ .
(٤٣) المخطوطة ق ١٤ ب .
(٤٣) المخطوطة ق ١٤ ب .
(٤٤) المخطوطة ق ١٦ ب .

(٤٥) انظر : « ذات الفوائد – رسالة في الكيمياء لمؤيد الدين ابي اسماعيل الحسين ابن علي الطغرائي بتحقيقي » مجلة المورد ٣ (بغداد ١٩٧٤) ص ٢١٤ .
(٤٦) المخطوطة ق ٢٠ أ – ٢١ أ .
(٤٧) فوات الوفيات ص ١٠٧ – ١٠٨ .
(٤٨) المخطوطة ق ٢٠ أ ؛ فوات الوفيات ص ١٠٧ .
(٤٩) المخطوطة ق ٢١ أ ؛ فوات الوفيات ص ١٠٨ .
(٥٠) كارلونليتو : العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٥٥٥ .
(٥١) المرجع نفسه ص ٥٥٣ .

* * *